أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 9، العدد 30 (2018). ص ص87-100

الوجود الأمريكي في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية وانعكاساته

سفيان لوصيف*

الملخص: يتناول المقال بالدراسة والتحليل إنزال الحلفاء في شمال إفريقيا في نوفمبر 1942، وقد تواجد الأمريكيون في عدة جهات من الجزائر، وكان للوجود العسكري الأمريكي بالغ الأثر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ويمكن توضيح ذلك في أنه كان بمثابة إشارة واضحة على التحولات الطارئة آنذاك في موازين القوى، والتي بدأت تظهر عندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب دول الحلفاء، وكان لها دور هام في تطور الوضع على الصعيد المحلي، حيث لعبت القواعد العسكرية وما تقوم به من أنشطة استعراضية للقوة العسكرية من زعزعت السلطات الفرنسية بالجزائر، خصوصا بعدما ثبت بالملموس ضعف القوة الفرنسية في مواجهة التوسع النازي سنة 1940، وخلال فترة تقارب ثلاث سنوات ترك الأمريكيون بصماتهم في نفوس الجزائريون، من خلال توظيفهم كعمال في المنشآت الأمريكية والاحتكاك بعامة الجزائريين، وتقديم يد العون والمساعدة لبعض الجزائريين، كما كان بعض المسؤولين الأمريكيين ينظرون إلى الجزائر نظرة الشفقة وصرحوا بضرورة تحريرهم من الاستعمار الفرنسي، وهذا منذ توقيع الميثاق الأطلسي.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، إنزال الحلفاء في شمال إفريقيا، الحرب العالمية الثانية، الولايات المتحدة الأمريكية.

The American presence in Algeria during World War II and its repercussions

Sofiane Loucif

Abstract: The Article deals with study and analyses the landing of allied in North Africa in November, 1942.The Americans were present in several parts of Algeria particularly Oran region, the presence of American military had political, economic and social impact, this can be illustrated since it was regarded as a clear signal on the emergency transformations of scales of power at that time which began to appear when the United States of America entered the war alongside the allied countries. In addition to this, it played an important role in the development of situation at the local level where the military bases and their review activities of military force agitated the French authorities in Algeria particularly after the weakness of the French force in facing the Nazi expansion in 1940 be proven to be palpable For nearly three years, The Americans left their mark on the Algerians through employing them as workers in American installations ,contacting with all the Algerians and helping some of them. Some US officials looked at Algerians with a pity and declare the need to be freed them from French colonization.

Keywords: Algeria, Allied landing in northern Africa, World War II, United States of America.

*أستاذ محاضر، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 الجزائر، sofianeloucif@yahoo.fr

مقدمة:

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939، وتوسع جبهات القتال ومحاولة ألمانيا ودول المحور فرض السيطرة في أوروبا والمناطق الحيوية، وبعد سقوط فرنسا في يد النازية وإقامة نظام موالي لها تضررت مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، فقررت التخلي عن الحياد ودعم حلفائها، وبدخولها ميادين الحرب أقامت العديد من المراكز العسكرية لاسيما القريبة من أوروبا بهدف تحريرها من سيطرة الألمان، فبعد الإنزال في الجزائر سنة 1942 كان للوجود الأمريكي أثر عليها في الجوانب الاقتصادية والسياسية.

الإنزال الأمريكي في الجزائر:

قررت القيادة العامة المشكلة من أمريكا وإنجلترا أنه من الأجدر والأنسب إستراتيجيا أن يقع إنزال قوات الحلفاء في شمال إفريقيا، وتشكيل قواعد عسكرية يمكن من خلالها ضرب ألمانيا في أوروبا، وبعد مفاوضات طويلة جرت بين إنجلترا وأمريكا تم الاتفاق على إنزال قوات الحلفاء بالشواطئ المغربية والجزائرية، وذلك بتوصية من رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل الذي أطلق على هذه العملية اسم الشعلة أو ' L'opération Torche ' باللغة الفرنسية، والتي نص الاتفاق أن تكون الدار البيضاء[1] قاعدة أمريكية تحت قيادة الجنرال باتون Patton والواقعة تحت مراقبة أمريكية، بينما يتكفل الجنرال فراندلندال' Frendlendall ' بقيادة القوات الإنجلو أمريكية النزول في وهران تحت مراقبة بريطانية، أما بالنسبة للجزائر العاصمة فكانت القوات الإنجلو أمريكية تحت قيادة الجنرال الأمريكي ريدر[2]، وكانت عمليات الإنزال في 8 نوفمبر 1942 في مدينة الدار البيضاء المغربية، ووهران، ومدينة الجزائر العاصمة[3].

وقدر عدد القوات بـــ 49 ألف عسكري أمريكي وحوالي 23 ألف عسكري بريطاني، وكان الإنزال في مدينة الجزائر العاصمة من جهتها الغربية، أما في مدينة وهران فكان إنزال قوات الحلفاء يتم بالتدريج وبالبطء وذلك لعوامل معرقلة في الميدان، وخاصة تصدي قوات نظام فيشي والذي استطاع حشد عدد معتبر من الموالين له يضاهي عدد قوات الإنزال، فحدثت اشتباكات ذكرت المصادر وقوع ما يقارب 700 قتيل وجريح، واشتد القتال أكثر في داخل أحياء المدينة[4].

وكان الوجود الأمريكي عامة حدثا عسكريا وجيو إستراتيجيا بامتياز لذلك نجد الجزائريين قد علقوا آمالا كبيرة على أمريكا للخلاص من قبضة الفرنسيين، فالرئيس الأمريكي روزفلت عبر أنه مبتهج بالانضمام إلى صف الحلفاء وقال:" أن مجيء القوات الأمريكية... هو تطهير للشمال الإفريقي من النازية وإنقاذه من سيطرة المحور، الذي يريد التحكم فيه سياسيا واقتصاديا، ثم أضاف... أن النصر الذي سيحصل عليه الحلفاء، سيكون فاتحة عهد جديد من السلام والرفاهية في شمال إفريقيا "[5].

الموقف الجزائري من الإنزال الانجليزي الأمريكي:

رحب السكان بالتواجد الأمريكي على الأراضي الجزائرية، فقد ا رأوا فيه منقذا وخلاصا من السيطرة الفرنسية الاستعمارية، وتعاطف الشعب مع القوات الأمريكية، زد على ذلك معاملة الأمريكان للسكان بالطيبة، حيث كانوا يوزعون عليهم الملابس ويقدمون الشوكولاتة والحلوى للأطفال الصغار، الشيء الذي لعب دورا كبيرا في اندحار قيمة التواجد الفرنسي.

ورحب السياسيون الجزائريون أيضا بالوافد الجديد على بلادهم، لأنهم رأوا فيهم المخلص من رقبة الاستعمار الفرنسي والتحرر منه[6]، وفق ما نص عليه الميثاق الأطلسي وعرفت هذه المرحلة نشاط الساحة السياسية الجزائرية، مثل الزعيم السياسي فرحات عباس وجماعة النخبة ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[7]، ونضال حزب الشعب الجزائري الذي كان ينشط سرا بعد حله من قبل السلطات الفرنسية، وكانت لفرحات عباس علاقات مباشرة مع الدبلوماسيين الأمريكيين في الجزائر نذكر منهم القنصل ' Murphy Robert '، هذا الأخير الذي كلفته الولايات المتحدة الأمريكية بمتابعة الملف الجزائري.

الجزائر في عيون الجنود الأمريكيين:

بعد الإنزال الأمريكي في الجزائر يوم 08 نوفمبر 1942 تحدث الأمريكيون عن الجزائر من خلال قراءة استندت إلى معطيات انتقائية وجيو سياسية، فالجزائر كانت في أعينهم عبارة عن زاوية صغيرة لفرنسا، وواحدة من أقدم الإمارات التابعة للإمبراطورية العثمانية، وتذكروا التاريخ الأمريكي وصلته بالشمال الإفريقي، مثل قصف الأسطول الأمريكي سنة 1805 ضد طرابلس وفي سنة 1815 ضد الجزائر العاصمة، وفي عدد من تقارير وخرائط هيئة الأركان ذكرت ساحل الشمال الإفريقي بالشاطئ البربري في صورة فوتوغرافية لمصالح الاستعلامات، أخذت في جانفي 1943 توضح توزيع الحليب على أطفال الجزائر العاصمة، وكتب أسفلها بأن هذا حدث في ' البلاد القديمة لداي الجزائر '.

وفي سنة 1943 نشر مسؤول القسم الأمريكي للحرب دليل حول العادات والتقاليد المحلية، فقد تم التطرق في هذا الدليل للسكان الأصليين بناء على أحكام يطلقها عليهم المعمرين الأوروبيين، والذين يعتبرونهم دائما كأنهم أناس دون أهمية، وكان هذا العرض التاريخي يكشف ويظهر المظاهر السلبية للسياسة الفرنسية، فقد تم توظيف واستعمال كلمات ' اضطهاد ' و' استغلال ' العرب.

وتضمن هذا الدليل قصص مضحكة ذكرت فيه جوانب من الحياة الاجتماعية للجزائريين، منها أنك ' لو أردت الدخول إلى مخبزة فقم بنزع حذائك عند المدخل، لأن الخباز متعود على أن يضع الخبز على الأرض عند إخراجه من الفرن، مما يجعل الزبائن يرفضون شراء الخبز إذا كانت الأرض متسخة بطين الأحذية '، ومن جهة أخرى دائما ما يتم ترجي الجنود الأمريكان بعدم البحث في الدخول في علاقات مع النساء وإلا فإنهم سيعرضون حياتهم للخطر وجاء في هذا أمر' احذروا من النساء عندما تدخلون إلى منزل ما، صيحوا على النساء بتغطية وجوههن، أو الابتعاد عن طريقكم '، ومن أجل القضاء على سوء تفاهم أغلب العاملين في القوات الأمريكية تلقوا قاموس انجليزي - عربي من 53 صفحة يحتوي على كلمات أساسية[8].

وكانت مصلحة العمل النفسي أيضا تريد أن يكون لها نصيب، فقامت بإعداد بطاقات تتضمن رزنامات إسلامية وأرسلتها إلى الأعيان والإداريين الفرنسيين، وأكد مسؤول شؤون المكتب الأهالي في وهران بخصوص الأمريكيين الذين كانوا يبحثون عن الميزة المشرقية عندما قاموا بزيارة كبريات المدن الجزائرية فالشوارع والأحياء الأوروبية لم تنل اهتمامهم، بالعكس فقد فضلوا ولوج الأحياء العربية من خلال التردد على الأسواق والحمامات المغاربية.

فمدينة وهران بتعدد مجالاتها وأثارها الاسبانية لم تثر فضول الأمريكيين، فالذي نال إعجابهم ودهشتهم هي شوارع السكان السود وقريتهم، أحد محلات الحلاقة على حافة الحي نال إعجاب أحد الجنود، فتفاجأ في الغرفة الخلفية للمحل برجل وامرأة تعمل قابضة وكانت جميلة والنقود تنتقل من يد إلى يد خلف ستار مفتوح قليلا، فتخيل نفسه داخل بيت دعارة، وبدأ بتخيل وهو يحلق شعره فقال أنه من المنطقي' بأن هذا النوع من التجارة يستخدم كواجهة للدعارة 'لكنه كان مخطئا لأن غرفة النوم لم يكن في الواقع إلا غرفة تدخين يتم فيها تذوق نشوة الحشيش.

الموقف الأمريكي من الجزائر كمستعمرة فرنسية:

كان الخطاب الرسمي الأمريكي حول الجزائر متضاربا متأرجح بين أولويتين، البراغماتية التي نافست كثيرا الإيديولوجية، والكفاح ضد المحور فرض على الحلفاء بوضع كاتم الصوت على خلافاتها وتقديم جبهة موحدة، فقد أمضى ' Murphy ' يوم 3 ماي 1943 مع ' Macmillan ' اتفاق يعرف موقف الدول المتحالفة تجاه فرنسا، فقد كان الهدف هو إعادة إلى أذهان السكان الجزائريين الهيبة الفرنسية التي كسرت بواسطة الانهيار العسكري والمعنوي في سنة 1940، فقد تم التوصية بعدم احتقار السلطات الفرنسية، وعدم تقديم انطباع بالتشكيك بسيادتها على الأقاليم التي تمتلكها.

ولكن كما هو معلوم أن روزفلت في خطاب كان قد ألقاه يوم 6 جانفي 1941 وعد الشعوب الخاضعة أو التي تحت الوصاية بالحريات الأربع المشكلة من العقيدة الأمريكية المناهضة

للاستعمار، والتي هي مهيكلة في الميثاق الأطلسي الذي تم إمضاؤه في وقت قريب مع تشرشل، وفي الميدان كان عكس ذلك فالمئات من القوات الأمريكية المرابطة آنذاك في الجزائر أظهرت الظروف غير مستقلة ومتحيزة للكتلة الإسلامية، فمعاينتهم بدت وكأنها قرار اتهام للوجود الفرنسي ' نحن الأمريكان عاملنا الجزائريين كإنسان، أما الفرنسيين فيعاملونهم أسوء من الكلاب '[9].

وعبر الجنود الأمريكيين عن تعاطفهم مع الجزائريين يذكر أحدهم قائلا: " الرحلة التي قمنا بها على التلال المطلة على وهران كشفت لنا فقر العرب... الأطفال حفاة الأقدام، الرجال ينامون على الأرض، سحابات من الذباب تهاجم كل واحد منهم '، كما روى رسام كاريكاتوري أمريكي بعد القيام بنزهة في الحي الوهراني، أنه صدم برؤيته أغلبية الجزائريين حفاة الأقدام وهزيلي الأجسام، فحياتهم رخيصة في أعين السلطة الاستعمارية.

كما ذكر هذا الرسام أنه ' رأى واحد من الفرنسيين يعترف بذنبه بأنه قتل أحد الأطفال الجزائريين بدهسه بسيارته، وفي هذه الحالة يتم تغريمه بخمسة دولارات، وإذا دهس عنزة أو حمار يتم مضاعفة الغرامة '، فالرسومات كانت تظهر بقوة أن الفرنسيين تركوا الجزائريين يموتون من الجوع، بقدر ما أنهم انفردوا بامتلاك الأراضي الممتازة.

وكانت روح الرحمة والتعاطف قد عانقت الجنرال ' Robinett '، ففي يوم 26 نوفمبر 1942 عندما توقف مع وحدته في أحد المناطق الجزائرية من أجل الغذاء، تجمعت حشود من السكان حول الجنود الذين كانوا يأكلون طعاما شهيا من معلبات الحساء والفاصوليا والعصير، فكان جمع كبير قد اقترب من ' Robinett ' وشاهدوه يعد أكلته، منهم شيخ برفقة ثلاث أولاد صغار لابسا برنس واثنان من أولاده يلبسان ثياب رثة بلا أحذية، في حين كان الثالث أكبرهما عاريا تماما باستثناء جمجمته المحلقة والتي كانت مغطاة بطربوش أحمر، وكانوا كلهم مهذبون كما ذكر ' Robinett ' قائلا:" لم يطلبوا شيئا، رضوا بمشاهدتنا، أعطيت كل واحد منهم طعام بالشكولاطة، وأكلت بنفسي جزء منه لأبين لهم بأنه لذيذ، شكرني الأب بلغة فرنسية سليمة، ثم قال لأولاده ألن تشكروا السيد، فقال كل واحد منهم شكرا، عندما ابتعد الجيش لوحوا بأيديهم بإشارة الوداع، لن أنسى أبدا الشرف والقدر الطبيعي لهذه العائلة الجزائرية '.

كان الأمريكيون في الجزائر لا ينتقدون كل نقد، فالعديد من الجنود فرضوا عنصريتهم المناهضة للجزائريين، كان السكان يشار إليهم باسم الأوباش القذرين، واللصوص، والبعض منهم كانوا ضحايا إعدام جماعي بحجة مخادعة بأنهم جواسيس ألمان، وقتل الجزائري أصبح سريعا رياضة في بعض الوحدات القتالية وأخذهم كإشارات أثناء تمارين التدريب على إطلاق النار.

والإفراط في شرب الكحول عقّد من الوضع أكثر، ففي مارس 1943 توقفت قوات الجيش الثاني من أجل الغذاء في المدينة، وكانت الوجبة مشبعة بالكحول، فقام الجنود بإطلاق النار على كل الجزائريين الذين يصادفونهم، واحد منهم تملق علانية بأنه تمكن من قتل ثلاثة وجرح اثنين آخرين هذا ما قاله أمام المحكمة العسكرية، واستفاد هذا الجندي من ظروف التخفيف بالأعمال الشاقة لفترة معينة، في المقابل الأعمال التي حدثت في الطارف لم يتم معاقبة أي تجاوز.

حادثة أخرى عصابة من المغتصبين ينتمون إلى كتيبة الهندسة قاموا بزرع الرعب في قرية، فقد تم الاعتداء على جزائريات بوحشية، من بينهن النساء فوق الأربعين سنة والأرامل وفتاة ذات ثلاثين سنة مريضة بالتيفوس، وتم الإسراع في إطلاق تحقيقات عن هذه الانتهاكات، لكن تم السكوت عن القضية ولم ينتج عن ذلك أي عقوبات محتملة[10].

وأثارت اعتداءات الجيش الأمريكي سخط الجنرال' Giraud ' فأرسل يوم 31 مارس 1943 رسالة إلى إيزنهاور ذكره بعمليات القتل والجرائم الأخرى التي تورط فيها العديد من الجنود، وبعد شهر من ذلك قام قائد هيئة الأركان بإعلام قيادة الحلفاء من أجل لفت الانتباه من جديد بانعدام الأمن، والإجابة من القيادة العليا الأمريكية كانت بإعادة التشديد على النظام وزيادة أعداد قواتها من الشرطة العسكرية.

وصدر خلال جويلية 1943 في صحيفة ' Star and strips وجهة نظر حول الجزائريين جاء فيها " إذا كان العربي غالبا لا ينفع، فهو على غرار ذلك ضروري، فهو يلمع أحذيتنا ويبيع لنا البرتقال، ويقدم البيض لجنودنا، في خط المواجهة على الرغم من إطلاق النار من العدو، ويلتمس منا دائما من أجل الحصول على العلكة والشكولاتة والتدخين '.

وكشف حول موضوع عدم المساواة الاجتماعية بين الأوروبيين والجزائريين فالوضعية كانت مأساوية في ناحية قسنطينة، أين تجذرت بكثافة بذور الضجر والاستياء الذي أشعل المنطقة في ماي 1945، فالفقر طغى على البلاد رغم مجيء الأمريكيين ووعودهم بالمساعدة الاقتصادية، فالنظام الاستعماري مازال دائما يعيش في حالة متصلبة، والظروف المعيشية للجزائريين تراجعت.

وسادت اللا مساواة وتحكمت في قضية الأجور، فالعمل متساو لكن أجرة العامل من الأهالي لم تكن أبدا مساوية لأجرة الأوروبي، فالأرصدة العسكرية كانت انعكاسا شبه كامل للعلاقات الاجتماعية، فعندما وصل الجنرال ' Giraud ' إلى السلطة صرح بأن قوات الأهالي ستتلقى نفس الأجر والرصيد، وستستفيد من نفس ظروف الإسكان مثل الجنود الأوروبيين ولا شيء تغير من ذلك، فالأهالي الجزائريين تلقوا أجرا أقل، وطعامهم أدنى ومخيماتهم أسوأ مما نجد، علما أنهم اشتكوا في العديد من المرات بعدم تحسن ظروفهم.

فتكلفة الحياة تضاعفت بين سنة 1939 و1944، فالمؤشر تجاوز من قاعدة 100 إلى 250، والقدرة الشرائية للفئات المتوسطة والعاملة لم تتبع نفس التدرج والتقدم، فقد أوصى إيزنهاور بأن الجزائريين الذين تم توظيفهم من طرف الجيش الأمريكي بأن تكون أجرتهم زائد 10 % بعد عمليات الإنزال، فالأجرة اليومية للعمال الفلاحين تأرجحت حين ذلك بين 5 إلى 10 فرنك في فيفري 1944، والعائلة المتوسطة ذات أربعة أفراد تحتاج على الأقل إلى 400 فرنك في الشهر للأكل، وحتى لو كانت أكثر فهو ليس متأكد أن يتمكن من أكل اللحم أو منتجات أخرى ضرورية لأن الغذاء الرسمي هو غير كافي.

وأيضا سادت اللا مساواة في التعليم الذي أسسته فرنسا، كانت حجة أساسية للدعاية الأمريكية، وحسب لجنة الخبراء فقد ذكرت في سنة 1943 أنه أقل من عشر الأطفال المسلمين في سن التمدرس من 5 إلى 14 سنة تلقوا تعليما، في حين أنه ما يقارب 80 % من الأطفال الأوروبيين تابعوا تعليمهم والدروس باللغة العربية تم إهمالها، فحالة مدرسة قرآنية في الناحية الوهرانية أثارت جدلا حين أقدم على إغلاقها في جويلية 1943 من طرف عمدة القرية.

الإسهام الأمريكي في تطوير الحالة الصحية في الجزائر

اعترف الأمريكيون بجهود السلطات الفرنسية لتحسين معيشة الأهالي، فقبل سنة 1940 كانت الرعاية الصحية في الجزائر متحكم فيها من قبل فرنسا، وكانت هناك مصلحة مركزية للنظافة العمومية والطب الوقائي مسيرة من طرف مفتش مركزي تحت مسؤولية أمن القطاعات، فالتقسيم الإداري للجزائر المنبثق منه 112 دائرة على رأسها وضع طبيب مهنته الطواف في الدواوير والتلقيح والإشراف على المستوصفات، فيما تم تسخير ممرضات أوروبيات ومساعدات الصحة من الأهالي من أجل التكفل بالنساء.

وتم إرساء أداة ناجعة وذات صيت عالمي من أجل دفع السياسة الصحية، فكان معهد باستور بالجزائر الذي يسيره الدكتور' Edmond Sergent ' بالتعاون مع مديري الصحة العمومية، وقام بتلقيحات كبيرة ضد السل، وكان لها أثرا في خفض نصف الوفيات في أوساط الأطفال الجزائريين، ولكن ظروف الحرب قد خربت جزءا كبيرا من نظام الرعاية، ونزل الأمريكيون واكتشفوا الحالة الصحية الكارثية للجزائر عامة وللطائفة المسلمة بالخصوص، وأخطار انتشار الأمراض تسارعت وهددت الحلفاء، فتم إطلاق تفتيش سنة 1943 في قرية ناحية الجزائر العاصمة من طرف العقيد الملازم ويليام ستون التابع للطب العسكري الأمريكي، وسمح بمعاينة تكاثر القمل على الملابس الرثة للسكان مما سبب فقر الدم المزمن للسكان.

وكانت الوضعية مأساوية في الأحياء الكبرى، وتم اقتحام مدينة وهران بواسطة القمامات والبعوض، فالأراضي الشاسعة تحولت إلى مستودعات القمامة التي ترمى في الهواء الطلق والخلاء، مما جلب أعداد من الحشرات، فالعديد من الأحياء تحولت إلى مجاري مفتوحة، وحاول الأمريكيون الحصول على تعاون البلدية المحلية من أجل معالجة المشاكل المختلفة فالدكتور ' Gasser Jules ' أظهر منذ توليه شؤون المدينة في أفريل 1943 تفهما كبيرا، وساعد الأمريكيين على الارتقاء بقواعد جديدة للنظافة في أوساط السكان، ونال شهرة أثناء مساره كمختص في البكتيريا وحمى التيفوئيد.

وقد تم إنجاز بعض المشاريع، وقام الأمريكيون إضافة إلى ذلك بتوظيف حوالي 60 عامل جزائري، الذين قاموا في ستة أشهر تحت إدارة رقيب والدعم المالي المتمثل في شاحنتين لتخليص المدينة من قماماتها ونظفوا المستودعات الممتلئة بالقاذورات.

وكان اجتثاث الأمراض المعدية القاعدة الذهبية للسياسة الأمريكية للمساعدة، فلا شيء تم توقعه في مخططات الإنزال، لكن خطورة الوضع دعا إلى إقامة نظام مساعد، فالطبيب العقيد ' Hutter "Howard ' مسؤول في ناحية وهران عن واحدة من القواعد الطبية في شمال إفريقيا لقوات الحلفاء اهتم بمحاربة الظهور العنيف للأوبئة مثل الملاريا، التيفوس، الطاعون، فكانت خمس حالات مرضية ظهرت من سنة 1943 إلى 1945 أغلبها أمراض الأمعاء الباطنية[11].

ويتم التعرف سريعا على الشخص الذي مسته العدوى ويشار إليه بالأصبع، فكان الفرد الجزائري تقليديا ينظر إليه كحامل للفيروس بسبب معيشته السيئة، فلا يتم وضعه تحت المراقبة الطبية لكن يتم أخذ إجراءات وقائية اتجاهه، وكل المدنيين الذين يعملون لحساب الجيش الأمريكي تم تلقيحهم ضد التيفوس والجدري، فتم إحصاء ما يقارب 3700 عربي من جانفي إلى مارس 1943 في عمالات وهران والجزائر وتم تحصينهم ضد العدوى.

وفي تقرير للكولونيل الأمريكي ' Perim long ' مؤرخ في جانفي 1943 ذهب إلى غاية اقتراح بأن يتم إخضاع موظفي المطعم والنادي العسكري من الطباخين والخدم إلى ثلاث تحاليل بيكتويولوجية بهدف إبعاد كليا إمكانية أن يكون الشخص قد تعرض للعدوى.

واقتنع المجتمع الجزائري بفكرة أن الولايات المتحدة ستحقق لهم قفزة سياسية من جهة إلى أخرى، وانتشر في الجزائر في ربيع 1943 شعار أن أمريكا ستنقذ الجزائريين وستعيد لهم حريتهم، وصاحب هذا الشعار هو الدكتور محمد بن جلول رئيس فدرالية المنتخبين المسلمين بالناحية، وحاولت دعاية المحور استغلال الأحداث، فالإذاعات الألمانية التي كانت تتمتع بصيت كبير في العاصمة تقول ' لا تموتوا من أجل الحلفاء، طيعوا أئمتكم ومرابطيكم الذين يقودونكم نحو طريق الإسلام '، وكان غالبية الجزائريين يرفضون فكرة انصهارهم في الطائفة الفرنسية، فينظرون أكثر من أي وقت مضى نحو الحلفاء من أجل تحسين مصيرهم.

الأمريكيون في مدينة وهران[12]:

كان نمط الحياة الأمريكية منتشر في النسيج الاجتماعي الوهراني خلال فترة 1942 و1945، فقد جلبت القوات الأمريكية إلى وهران طريقة عيشهم، فالمدينة أصبحت أمريكية ولم تعد أليكانت الجديدة، والعديد من النغمات الموسيقية الجديدة أطربت أذان السكان بالمرور أمام بهو الصليب الأحمر في شارع الألزاس واللورين، ويمكن سماع جنود يغنون حول بيانو مقطوعة ' Crooners '، وبدءا من 28 ماي 1943 في حديقة ' Petit Vichy ' ونزهة ' Létanz ' كانت فرق موسيقية تابعة للجيش الأمريكي تقدم مقاطع يوميا وبالمجان، وأما السينما فكانت تقدم أجمل اللقطات الهوليودية، فالشباب الجزائري الذين يمارسون مهنة تلميع الأحذية وكذا بائعي البرتقال تمكنوا من تعلم بعض الكلمات الإنجليزية.

وفي الأكشاك وجدت الكثير من الجرائد المعروضة على الرفوف، وكذا المجلات الصحافية الشهرية، والأسبوعيات التي كانت تباع في مدينة مثل صحيفة 'strips Stars and ' وكانت تباع بواحد فرنك، كل يوم يغضب الضباط عندما يكتشفون رسومات كاريكاتورية لصاحبها ' Bill

Mauldin '، التي تتسلى بالنقد خصوصا عن القائد آرثر ويلسن وابتداء من ديسمبر 1943 لم يكن من المجدي جلب صـناديق الكوكا كولا من الولايات المتحدة، فقد تم إنشـاء مصـنع بوهران بطلب سريع من إيزنهاور.

وكان العلم الأمريكي بنجومه يرفرف في كل الأمكنة، مسيرة استعراضية كبيرة جابت شوارع حي الفرقة 45 للمشاة وتم إحياء ذكرى 4 جويلية 1943، عيد الاستقلال الأمريكي الذي تجاوز في احتفاله الاحتفال الوطني الفرنسي الذي أقيم، وكان الحنين للوطن جد مؤثر فأعوان الجيش الأمريكي لم يتمكنوا من مقاومة الوضـع، وأرادوا معرفة ما يجري في بلادهم، اللعب، دفاتر الميلاد، حوادث منزلية، اشـتركوا في جرائد مدنهم، وكانت المعلومات المحلية تجعلهم يثورون بعنف، واحد منهم اندهش عندما قرأ جريدة ' Wiscon star ' في شـهر جوان 1943 بأن عمال المناجم الأمريكية قاموا بإضـراب لأسـباب مالية في حين أن مواطنيهم يموتون في جبهات القتال، فقام بلعن هؤلاء المضربين الذين لا يعرفون واجب التضامن[13].

وكتب البحار ' Martin ' في أكتوبر 1943 رسالة إلى معارفه في' Glen Ellyn ' قرية صغيرة في أحياء شيكاغو بأن الجزائريين فقراء، وبأنهم لا يحبون الغسل، وبأن النساء متحجبات بصورة كاملة، فقط فتحة صـغيرة على مستوى الوجه لكي يتمكن من الرؤية عند المشـي، لكن كانت هناك رؤى أخرى للحقائق الوهرانية بما أن الحياة في وهران كانت مناسـبة في شـهر أوت 1943، قال' Frank Hempel ' التابع للأمن السـري 168 مشـاة في رسـالة وجهها لأهله بأن ' ابنه أصـبحت شهيته مفتوحة وأصبح سمينا بسبب أكله التمر والبطيخ، والليالي منعشة ونحن نطهو الدجاج طيلة اليوم، وأصبحت تقريبا أسود بسبب الشمس '.

جندي من مدينة نيويورك Frank Mauro' التابع للكتيبة 34 للمشـاة روى لعائلته كيفية قضـائه فراغه في وهران، فهو يذهب يوميا للسـباحة في ' Canastel ' الواقعة على بعد 10 كلم شـرق المدينة قائلا:' كان لزاما دفع الثمن وكان يلزمني نزول وادي بـــ 210 متر من أجل الالتحاق بالساحل، وعندما أنهي السباحة يبقى لي الشيء الأصعب هو صعود الوادي، كان الخمر لذيذ، الأكل جيد، العمل ليس صعب، الشيء الوحيد الذي ينقص هو حلوى الكراميل '، مما جعل والداه يبعثان له كمية منها وأيضـا شـفرة حلاقة، وقد قتل Mauro في إيطاليا من طرف قناص، وحدث ذلك أربعة أيام قبل هدنة 7 ماي 1945، ولم يكن عمره آنذاك سوى 21 سنة.

وإضـافة إلى السباحة كانت التسلية قد ازدهرت بوهران، ومن أجل تخفيض التوتر فتحت بنايات البلدية أبوابها للهو، قاعة الزواج بفندق المدينة اسـتقبلت يوم 17 جويلية 1943 الحفلة الراقصـة الكبرى للوكالة الأمريكية للمؤونة على صـوت أكسـترا ملونة كان الرقص، مدنيين وعسـكريين اختلطوا بإخاء، كان هناك جنرالات وعقداء من بين الحضـور، أنشـأت العديد من الملاهي الليلية بمبادرة من الصـليب الأحمر الأمريكي لكل الرتب، ضـباط، جنود، بسـطاء، فكان لهن نادي خاص مزود بحانة، قاعة، أسّرة، ماكياج، مرشات، غرف نوم[14].

وتم تخصـيص ناديين للمتطوعين من الجنود السـود بفضـل مبدأ الفصـل بين الأجناس الذي شـكل جزء من العادات الأمريكية الأكثر شعبية، كان ' Le country club ' عبارة عن قاعة كبيرة بنيت من الحجارة من طرف سـجناء الحرب الإيطاليين، كان مدرجه عصـري، أما الحفلات فقد كانت تؤديها الفرقة 484 التابعة لسرية الهندسة، وحدة مكونة أساسا من الجنود السود حوالي 5000 منهم مرابطين في المنطقة تم تدريبهم من أجل القتال، لكن عندما قدموا إلى وهران تم تسـخيرهم للأعمال اليدوية على غرار تفريغ السفن والعتاد والعديد منهم أحس نفسه مذلولا وبلا قيمة.

وبقت لعبة البيزبول والكرة الأمريكية بعيدا عن الرياضـات الأكثر جاذبية جريدة ' Stars and Strips خصصت لهما عناوين عريضة، وانتصارات نادي كرة القدم للاتحاد الرياضي الإسلامي بوهران ضـد لاعبي السـواحل الأوروبية لم تتطلب أي تعليق، فالأمريكيين يهتمون فقط بقدرات وحداتهم الرياضية.

بناء قاعدة بحرية كبيرة:

استثمرت القوات الأمريكية كثيرا في تهيئة مركب الميناء بوهران ومرسى الكبير، فقد قررت السلطات الفرنسية جعله من بين أكبر الموانئ على غرار ميناء طولون، وطوّر الأمريكيون الأشغال التي كانت قد انطلقت بالميناء قبل الحرب، وبناء قاعدة بحرية كبيرة كانت الأكثر أهمية في البحر المتوسط الغربي، وعرفت النور بعد 6 أشهر فيها المئات من الجنود والأطنان من التجهيزات.

وفي فيفري 1943 تم إنزال من 195 إلى 206 طن من العتاد من سفينة ' Liberty ships 38 '، فتم تسخير 479 شاحنة نصف مقطورة، وتم تخصيص 447 شاحنة في الليل، وتولت السرية الثالثة بالميناء التابعة للجيش الأمريكي تنظيم التجارة، فيما تولى الكولونيل' Lastaya ' تسيير إدارة السفن والأروقة عوض السلطات الفرنسية.

وحسب حصيلة النشاطات في الفترة من 8 نوفمبر 1942 إلى 30 جوان 1943 تم تفريغ 1.282.332 طن من المواد المختلفة بوهران الذي يشكل القائمة الأولى لموانئ شمال إفريقيا، ثم بعيدا عن ميناء الدار البيضاء المغربية تم تفريغ 745742 طن في ميناء عنابة وسكيكدة 125275 طن للحصول على هذه النتيجة تطلب إصلاح التركيبات المعطلة أثناء عملية الشعلة وكذا استخراج النفايات التي عرقلت الأحواض[15].

وإضافة إلى ذلك قامت ببناء أنبوب بطول عشرة كلم الذي يربط المكان المسمى فيكتور هيجو بالحي الوهراني بمطار السانية وطفراوي، أين تم تشييد براميل فولاذية للتخزين ذات سعة تقدر بـ 2097 و3015 هيكتولتر، وفي 9 ديسمبر 1942 بعد شهر من الإنزال أصبح الميناء مجهز للعمل بصفة كاملة، وأصبحت قاعدة وهران بصفة رسمية عملية يوم 7 جانفي 1943، وتم تجهيزها بكل المعدات التقنية التي استلزمت أهميتها الإستراتيجية تركيب محطة راديو، ورادار، محطة ملاحظة شاملة، حماية مضاد للجو، مراقبة القوافل، دوريات بحرية تحت قيادة نائب أميرال ' Andrew Bennett '، وانتقلت في ديسمبر 1942 إلى سلطة قائد هيئة الأركان.

وأدى تخزين العتاد والمنتوجات الغذائية إلى إعادة صياغة منظر المدينة، فتم تغيير وظائف مؤسسات عمومية وخاصة، وضم الأروقة المركزية التي كانت تحفة حضرية لبلدية لامبار، وجعل منها المستودع الكبير للجيش الأمريكي، والعشرات من العقارات تم تسخيرها هنا وهناك لنفس الغايات مثلا بناية في شارع Lyon 10 تعود للمدعو ' Fargue ' الذي كان يسكن في شارع جوفر، فيما تم استغلال طابق تحت الأرض مخصص للخمور مساحته 7000 متر من أجل وضع المستلزمات الطبية، وتم تحويل مستودع ستروان في شارع القناصة إلى قاعة فرقة موسيقية عسكرية بعدما تم تفريغه من السيارات.

وبما أن الهياكل الموجودة لم تعد كافية تم دعوة السرية 70 و120 للهندسة الأمريكية والتي بواسطة الحفريات والكاسحات قامت ببناء في المحيط الجنوبي مستودع كبير يحتوي في قاعدته المبلطة على 30 مخزن زودت بطرق مبلطة، وشبكات من المجاري الجديدة ومولدات كهربائية، وقدرة التخزين لهذا المستودع وصلت إلى 8000 طن، وكانت احتياطات الذخيرة تكفي سرية لمدة ثلاثة أشهر، وكميات كبيرة من المؤونة الغذائية على غير المعتاد، وكانت أوقات العمل للحمالين تتراوح ما بين 60 إلى 100 ساعة في الأسبوع.

واقتحمت التكنولوجيا الأمريكية هذا المستودع يوم 30 أفريل 1943، وتولى النقيب جورج بورنشميث من فرجينيا مسؤولية إدارته في ماي 1943 إلى ديسمبر 1944، وتم إنشاء معسكر إيواء يضم 1500 جندي تم بناؤه في عدة أيام وزود المستشفى بـ 500 سرير و75 جناح.

وأكثر من ذلك بالنسبة للمواد سريعة التلف، تم بناء على محيط الميناء مخزنين للتبريد بـ 16000 متر^3 لكل واحد، بنيت من رماد الحديد وبأرضيات من الإسمنت وأسقف من القرميد، والولايات المتحدة الأمريكية برهنت وأظهرت على علو تكنولوجيتها عبر الإشغال العمومية، فالجيش الأمريكي جلب معه مولدات كهربائية جد ناجعة، لكن نظرا لتزايد حاجيته قرر مراقبة عمل المركز الكهربائي للجيش الأمريكي والمستخدم الأول لسكان وهران.

تشغيل الجزائريين:

ومن أجل تنفيذ أعمال فرعية كرفع الأوساخ التي تراكمت أثناء إنزالهم في شمال إفريقيا تم توظيف ثلاثة آلاف عامل جزائري، فالنشاطات المرفئية والإنشاءات العسكرية جذبت السكان الأهالي، وكان الأجر مضاعف مرتين أو ثلاث من الأجر الذي كانوا يتقاضونه قبل مجيء الحلفاء، والجزائريين الذين تم توظيفهم كحمالين عملوا بضمير عالي، وطلبوا الرحمة بسبب فقرهم المدقع فالعديد منهم يرتدون لباس مرقع وممزق، ولم يكن لدى الأمريكيين إلا ثقة محدودة اتجاههم، فالكثير من العمال لم يثقوا فيهم واعتبروهم مصدر العديد من عمليات السرقة في الميناء، فوضعوهم تحت الرقابة الدائمة، وبما أن الشرطة العسكرية لم يكن لديها الأعوان الكافين سخر فريق الميناء خصوصا لذلك اثنين من كتائب الهندسة لأجل ضمان أمن المخازن.

ومكتب اليد العاملة المدنية كان تحت رقابة الجيش الأمريكي، ويسير من مقراته الواقعة في شارع كليمنصو الرابع، وتدفقت عروض وطلبات العمل بأمر من الجنرال آرثر ويلسن نجح المكتب في توظيف 1000، والنصف تم توظيفه من طرف المكتب نفسه أثناء زياراته لمخيمات الثكنات، والنصف الأخر تقدم فرديا إلى المكتب مزود بتوصيات، ومن هؤلاء 1000 شخص حوالي 100 تم رفضهم من أجل وضع السجناء الايطاليين مكانهم، وتم توجيههم على الفور إلى مقاولات أخرى.

وحول وهران في المدن الداخلية الصغيرة كان الوجود الأمريكي عبارة عن مصدر عمل ومداخيل، وفي مدينة بوحنيفية بني مستشفى وكان الوجود الأمريكي في البداية يشكل ضغطا، لكن تم إشراك السكان في صيانة العتاد الصحي، وإصلاح المجاري، ومستشفى آخر تم إنشاؤه بتلمسان، ومن فيفري إلى نوفمبر 1943 وظف مدنيين في أعمال المحاسبة.

الوجود الأمريكي الانجليزي في عموشة:

دخلت القوات الإنجليزية والأمريكية إلى عموشة من ميناء بجاية في أواخر نوفمبر 1942، وكانت القوات حاشدة أولها في عموشة وآخرها في خراطة، وانتشر القليل والقال بين عامة الناس، أن الانجليز والأمريكان هم حلفاء فرنسا أتوا ليطردوا الألمان، وكانت هذه الحشود ذات هيبة كبيرة وبدت كما يذكر السعيد لعبيدي فرنسا أمامهم ضعيفة لا مكانة لها[16].

وقد تركزت قوات الحلفاء في عموشة في الفيرمة أين أقيم الملعب البلدي حاليا، والتي كانت تعرف بفيرمة فورني '، خاصة بعد الأخطاء الفادحة التي ارتكبوها بعد مقتل وإصابة طفلين في أولاد مرغم، وكان المستوطن طورا الذي استغل هذه بالكراء من فروني غير راضي عن قدوم الأمريكان للمنطقة، وكانت لهم طائرة هيلكوبتر يستخدمونها للإسعاف أو في حالة الضرورة[17].

وفي تيزي نبشار استقروا في قرية بوشامة في أرض بن سحنون أمقران حاليا، وكانت قيادة الأركان متمركزة في البطحاء، في قرية بوشامة كانوا يقومون باستعراضات عسكرية وتدريبات كبيرة، وكان يشاركهم جنود جزائريون جندتهم فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، عمليات عسكرية يقومون بها لم يشهد لها مثيل من قبل، وكانوا يتدربون على سلاح المدفعية التي تطلق قذائف كبيرة باتجاه الحرشة وأولاد مرغم[18].

وكان جنود الحلفاء من الأمريكان والانجليز يتواصلون مع سكان عموشة، خاصة التعامل معهم في التجارة بيعا أو مقايضة، فعرف عنهم ممارسة التجارة السوداء مع الأهالي، والكثير من الجنود كانوا يبيعون السلاح لهم خاصة المسدسات الأمريكية الصنع والذخيرة، والملابس والأحذية، والسجائر، في المقابل يشترون من الجزائريين بعض المنتجات خاصة البيض، ونذكر عدة روايات منها:

رواية يوسف كبور:

عن تعامله مع الأمريكان يذكر قائلا: " كنا نبيع لهم البيض ويبيعون لنا الملابس، والبترول الذي نستعمله في إشعال المصابيح، وقد اشتريت منهم 3 لتر، ومعطف وسروال، وأنا بيعت لهم البيض، وأبي اشترى منهم السلاح بندقية ومسدس، هذا الأخير سلمته للمجاهدين حين اندلعت الثورة التحريرية[19].

رواية السعيد لعبيدي:

وكنا نتعامل معهم في البيع والشراء، نشتري منهم السلاح والعتاد وبعض الأثاث والملابس، نحن في عائلتنا اشترينا منهم منشار طوله 2 متر، واحتفظنا به إلى الثورة التحريرية، واستخدمناه في قطع الأعمدة الكهربائية وأعمدة خطوط الهاتف، واشترى منهم القايد مسعود عباشة خيمة كبيرة جدا كانوا يقيمون فيها، واتخذها القايد وسيلة فلاحية للاحتفاظ بالقمح والتبن، وكان الحاج عبد الله يشتري منهم السلاح ويحتفظ به في الغابات، وباعه فيما بعد لمسعود زيتوني الذي لعب دورا كبيرا في شراء معظم السلاح من الجزائريين الذين تعاملوا مع الانجليز، وبدوره باعه في الأوراس لاسيما بعد تأسيس المنظمة الخاصة التي كانت تحضر للعمل العسكري والثوري.

قصص طريفة كانت لسكان المنطقة في تعاملهم مع الانجليز والأمريكان ذات مرة ذهب صالح خلدون بدلو ممتلئ بالبيض ليبيعه لهم كالمعتاد فخرج إليه أحد الجنود، وانتزع منه الدلو وقال له عد من حيث أتيت، لم يتقبل صالح الإهانة ولم يتمالك نفسه، فقرر أن يأخذ حقه، وغير بعيد عن مقرهم كان يراقب ما يجده كي ينتقم منهم، واقترب من سيارة ' Jeep ' وجد مسدسا أخده وأدبر عائدا، وباعه في السوق السوداء واشترى من ثمنه حصانا.

الحق أن سكان الجهة انبهروا بما يملك الانجليز الذين كانوا الأكثر تواجدا في بوشامة، واتفق بعض الشباب ذات الليلة أن يقتحموا خيم العتاد، واهتدوا إلى فكرة أن يأتوا بحمار ويضعون فوق ظهره التبن، وعند الاقتراب من الخيم يضرمون النار في ظهره، وحين اشتعلت النار في الحمار لم يتمالك نفسه وأرغموه على اختراق الخيمة، فاستيقظ الجنود الانجليز النائمون تحت الفزع وخرجوا هاربين، وبعدها تقدموا وأخدوا ما فيها من أغراض وسلاح[20].

رواية عباس شريطي:

كان جنود من الجيش الانجليزي يبيعون للناس الملابس والأحذية في السوق السوداء للجزائريين في عموشة وغيرها من المناطق، وذات يوم ذهب حصاد مسعود وصولة صالح للشراء منهم تفطنت قيادة الانجليز لهم ليلا، فألقي القبض عليهما وسجنا، وكان السكان يبيعون لهم البيض، وفي مرات أخرى يذهب الأطفال إلى مقرهم حاملين حبات البيض لبيعها لهم فيخرج إليهم جنود آخرين فينزعون منهم ما في يدهم ويضربوهم بالركل، ومن ضحايا التعامل معهم بشير شريطي الذي كان أكبر متعامل معهم يشتري من عندهم القهوة، السكر، الزيت وهي مواد كانت محظورة خلال الحرب العالمية الثانية، لا تباع إلا بالتقنين وبكميات محدودة جدا، وفي إحدى المرات صعد إلى الشاحنة المحملة بالمؤونة فدهسته، وحولته إلى أشلاء متناثرة هنا وهناك، وتختلف الروايات بين الفعل المتعمد من جنود الحلفاء أو سقوطه المفاجئ[21].

الموقف الفرنسي من التواجد الأمريكي في الجزائر:

وللقضاء على تأثير الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائريين كانت البداية بفصل وطرد العناصر الجزائرية من جهاز الدرك الفرنسي، لكي لا يتم رؤيتهم مع الشرطة العسكرية الأمريكية، وتم الرجوع إلى طرق الضغط والاستفزاز ضد أولئك الذين يحاولون التحالف أو إقامة علاقات ودية مع العدو الأساسي، وقد أصدرت السلطات الفرنسية أوامر بإجبارية الوشاية إلى المحافظة عن كل جزائري متعاون مع مصالح الحلفاء أو يتآخى مع القوات الأمريكية، وتم فرض هذه المهمة على القياد في الناحية الوهرانية، وهو ما أحدث تخوفا كبيرا في أوساط الجزائريين، وأحد الأعيان المسلمين ترجى الأمريكيين بعدم كشف علاقته معهم.

وكان أحد الأعيان المعروفين في وهران قد تم استعطافه من طرف المكتب لشرح لماذا قام بدعوة ضباط أمريكيين عنده، فأجاب بأنه أحس بواجب الضيافة اتجاههم، فقيل له بأنه يجب عليه

أخذ الحذر الشديد لأن ' الأمريكيين ليسوا جيدين تجاه الجزائريين '، وتم تشديد الرقابة ضد المشتبه فيهم، فانتشرت معلومة والتي بموجبها قام العديد من عمداء المدن في العمالة بأمر موظفيهم باعتبار كل جزائري أقام علاقة مع الأمريكيين هو عدو لفرنسا.

وبمرور الوقت لم يعد التحدث عن الأعداء فقط لكن عن الخونة للإشـــارة إلى المتعاونين، فهذا ما حدث بالقلعة الســـاحلية Canastel أين قام بعض العرب بعقد علاقات مميزة مع القوات الأمريكية مما سبب قلقا، ونذكر حالة الصحفي والكاتب محمد السعيد زاهري العضو السابق في جمعية العلماء المســلمين كشــف الانتقام الذي تعرض له الوطنيين المســلمين، إذا ما أظهروا عنادا في مســاندتهم وميولهم للأمريكيين، ولعدم طاعته للســلطات الاســتعمارية التي طلبت منه التخلي عن صــداقته تم طرده من وظيفته.

وفي نوفمبر 1943 قدم شكوى للجنرال آرثر يلسون قائد قاعدة بوهران ومما جاء فيها ' منذ نهاية جانفي 1943 انخرطت في قضــية الحلفاء، وأقمت العديد من العلاقات مع مختلف الشــخصــيات السـياسـية والعسـكرية الأمريكية، ونتيجة لهذا بعض قادة الإدارة الفرنسـية صـرحوا لي بأن لا أقيم عمل أو علاقة لصــالح الحلفاء، من جهة أخرى طلبوا مني بإلحاح اسـتعمال كل الوســائل من أجل تشويه قضية أمريكا والحلفاء، مثل الانخراط في عمليات مشبوهة تصغر هيبة وشهرة الأمريكيين ونشر في الأوساط الإسلامية افتراءات عليهم، رفضت أن أفعل هذا كمبدأ طبيعي بالنسبة لإنسان مثلي الذي أمضى حياته كاملة كصحفي ورجل سياسي في خدمة الديمقراطية ضد الفاشية والنازية، ونظرا لهذا الموقف السلبي، وإضافة إلى ذلك تم إطلاق متابعات قضائية للانتقام مني، وكذا تم تلفيق دسائس ضدي وضد العديد من أصدقائي، وبعض الشخصيات الإسلامية فعلت عكس ما امتنعت أنا القيام به، فيما يخص التحريض ضد الأمريكيين فتم مكافأتهم جزيلا '.

وقام الأمريكيون بجولات دعائية داخل الأراضــي لإظهار الســكان الأصــليين بأن حكومتهم هي التي تســاعدهم اقتصــاديا، وبأنها هي الوحيدة التي تضــمن التزود بالمؤونة للجزائر وليســت اللجنة الوطنية كما يدّعون، ومنذ ربيع 1944 مع فتح الجبهة الثانية في أوروبا بدأ مصــــالح الدعاية الأمريكية في التخلي عن التزاماتها اتجاه الجزائر، تاركة الســاحة شــاغرة للســلطة الاســتعمارية الفرنسية في سياستها للتحكم في الإقليم وسكانه، فكان الوطنيون والمثقفون الجزائريين متخوفون من هذه اللحظة، وفي ديســمبر 1944 رأوا تحرر فرنســا وكان حدث كئيب مثّل نهاية أمالهم من أجل تغيير سلمي لوضعيتهم.

وكانت الحرب ضد ألمانيا اقتربت قد من نهايتها، لكن الاستقلاليين لم ييأسوا من أمريكا التي بدأت بإدارة ظهرها لهم، وظهر الموقف السـلبي الأمريكي من الجزائر منذ فيفري 1944، واتضــح أكثر أثناء أحداث الشــغب المغربية التي تم قمعها بشــدة من طرف القوات الفرنســية، وأصــبح بديهيا أن روزفلت لن يتحرك في حالة تمرد عربي.

وبعد زيارة ديغول إلى واشــنطن في جويلية 1944 تم ملاحظة تشــابه الرؤى بين المســؤولون الفرنسيون والأمريكيون، ولاحظ أحد الرسميين بالمكتب المركزي للاستعلامات بأن أمريكا تعلمت الكثير منذ إنزالها، وبأنها وضعت جانبا أوهامها المناهضة للاستعمار من أجل سياسة أكثر واقعية، وقـام الوطنيون في نهـايـة فيفري 1945 بخطوتهم الأخيرة من خلال الجمعيـة العليـا للـدفـاع عن الجزائر، وتلقت المفوضــية الأمريكية بالقاهرة مذكرة تلخص تاريخ العلاقات الفرنســية الجزائرية، ودعت إلى إصــلاحات خاصــة ومما جاء فيها ' بأن تتوقف كل المبادرات الإدماجية للجزائريين في الدولة الفرنسية '، واستعجلوا الديمقراطية لدعم تحرر الجزائر.

الرئيس روزفلت الذي وعّد شــعوب شــمال إفريقيا بالحريات الأربع توفي يوم 12 أفريل 1945 دون أن يتمكن من تحقيق رغبته، وصـورة المحررين التي أراد الأمريكيين نشـرها قد طويت يوم 8 ماي 1945 عندما انتهاء الحرب وهزيمة ألمانيا، واشـتعلت أحداث في ناحية قسـنطينة، وعمت فيها المظاهرات ومات عشرات الآلاف من الجزائريين ومائة قتيل من الأوروبيين.

والقمع الذي تلاها أعطى حصيلة متضاربة، مصدر حكومي فرنسي ذكر إحصاء 1500 قتيل، لكن المصدر الأمريكي قدم حصيلة بين 7000 و40000 قتيل، مهما تكن ضخامتها فهذا القمع أدهش في كل الحالات الرأي العام الأمريكي فحسب أمين الدولة بالنيابة جوزيف غروى أنه" شعر بحزن عميق للخسائر في الأرواح البشرية "، شيء محزن عبر عنه أغلبية الأمريكيين عندما لاحظوا أن تسليمهم العتاد الحربي للجيش الفرنسي قد ساهم في تعزيز النظام الاستعماري في الجزائر، وهذا ما تنكره فلسفتهم السياسية.

تساؤل يفرض نفسه هل كان للأمريكيين خلفيات؟ قام الجنرال ويلسن بتحديد المعايير القانونية، تم تبريرها بواسطة مخططات الحرب، في أرشيف فرنسا الحربي في شمال إفريقيا الموضوع بوزارة الشؤون الخارجية تم عنونة ملف' أهداف أمريكية على قواعد الحلفاء '، خصوصا القواعد الفرنسية خلال فترة سبتمبر 1943 و1944، وتم تسليم أمريكا حرية استغلال بنزرت، الدار البيضاء، داكار، وهران، أين انتشرت شائعات تقول أن أمريكا ستحتل المدن الأخرى، وشائعات محلية، كانت اتفاقيات 22 فيفري 1942 مصدر المشكل، فقد منحت لأمريكا قواعد بحرية في شمال إفريقيا منها على الساحل الجزائري، فناحية وهران ضمت مستغانم، نمور، بني صاف، أرزيو، وهران، مرسى الكبير.

واثنين من القواعد تقع في ناحية الجزائر العاصمة شرشال، تنس، أما ميناء الجزائر فكان له قانون خاص إذ كان تحت مسؤولية الإدارة البريطانية، ولا يستغل إلا في الخدمات الصغيرة مثل تخزين الوقود، ورشات التصليح ومركز راديو، وأكثر من ذلك كان مؤقتا إلى غاية جويلية 1943، وكان نائب الأميرال هنري كونت قائد القوات البحرية للحلفاء في البحر المتوسط، فالبحرية الملكية كانت تمتلك ثلاث قواعد كلها تقع على الساحل الشرقي بجاية، عنابة، سكيكدة.

وأثناء جلسة المجلس الاستشاري ليوم 15 ماي 1944 ندد ديغول باتفاقيات 22 فيفري 1942 بقوله ' أتمنى القول علانية بأن فرنسا لم يتم أخذها بعين الاعتبار في هذه الاتفاقيات '، وتوسع السخط ليطال الأوساط الديغولية، فقاموا بحملة دعائية خبيثة ضد الأمريكيين، واتهموهم أنهم قاموا بإلحاق المغرب لهم، وسياستهم الغامضة حول أهدافهم في شمال إفريقيا ' لقد قام الأمريكيون بالسيطرة على السكة الحديدية والتجهيزات العمومية، وحاولوا مراقبة الحياة الاقتصادية في شمال إفريقيا '.

وازدادت شعبية ديغول في الأوساط السياسية لأنه قام بتحريك حبل المواطنة ولعب دورا كبيرا، وظهر في أعين الجميع كالرجل القوي في وجه مزاعم التآمر الأمريكي، وأيضا قام بتعزيز سلطته على المخطط الداخلي، فالضغط أظهر نوع من العزم مع الولايات المتحدة الأمريكية، لم يكن روزفلت مستعجلا بالحصول على موافقة، فلا شيء كان واضحا في تفكيره، فطبق الخطاب المزدوج مرة يحتج بأنه لا يملك أي غرض في ممتلكات فرنسا في ما وراء البحر، وتمهيدا لاتفاقيات ' Clark Darlan '، ذكره علانية بهذه الالتزامات، لكن روزفلت ترك أسرارا لابنه قال بأنه متخوف من تسليم التحكم في الشؤون المدنية للأهالي في شمال إفريقيا إلى لجنة وطنية تخضع لسلطة ديغول، وأيضا خطط بنفسه بالاحتفاظ لعدة سنوات ببعض المناطق من أجل منفعة إستراتيجية على المستوى العسكري.

وفي يوم 25 ماي 1944 نائب الأميرال ' Raymond Fenaud ' قائد البحرية الفرنسية بواشنطن قال له أن لديه رسالة لديغول على شكل دعوة لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية بصفة رسمية، فأجاب روزفلت بأنه لا يمكنه دعوة الزعيم الفرنسي كونه ليس رئيس دولة، غير أنه على استعداد لاستقباله بشرط أن يقوم هو بتقديم الطلب، وبعد مداولات معمقة قامت بها اللجنة الوطنية الفرنسية المجتمعة بالجزائر العاصمة في جوان 1944 قرر ديغول الذهاب إلى واشنطن.

ودامت الزيارة من 6 إلى 10 جويلية 1944، وخلالها دافع ديغول عن سيادة فرنسا على مستعمراتها في شمال إفريقيا وسلامة الإقليم الجزائري، وعرض عليه روزفلت نظرته ما بعد الحرب إلى رجوع فرنسا لحق تقرير مصير الشعوب والانخراط في ذلك، بهدف مراجعة

الطموحات السوفياتية، لكن ديغول رفض ذلك رغم استقباله بحفاوة، لكنه بقي متشددا في موقفه، وسئل أثناء المؤتمر الصحفي عند اختتام زيارته فصرح قائلا: " أنا مقتنع بأن روزفلت ليس لديه أي نية في ضم أي إقليم فرنسي "، ومن جهته قدر الرئيس الأمريكي أنانية الموقف الديغولي.

وحينها قام الأمريكيون بمراجعة أهدافهم من الأساس فكانت التسوية الودية، وأعلنت قيادة قوات الحلفاء في البحر المتوسط في يوم 27 فيفري 1945 بعودة وهران إلى الرقابة الفرنسية، فالقرار تم أخذه عدة أشهر قبل أن يكون فعليا، وتم التنازل عن القاعدة العملياتية يوم 29 جويلية 1945، وعوضت لمدة شهر من طرف مفرزة صغيرة بحرية، أما المستودعات والمستشفيات فقد تم تفريغها بالتدريج، وجمعت المستلزمات الطبية في بناية واحدة في مركز المدينة باستثناء وحدة المراقبة.

وانسحبت القوات الأمريكية من وهران يوم 30 سبتمبر 1945، وتنازلت عن جزء من تجهيزاتها للحكومة الفرنسية وذلك بدفع مبلغ 328851 دولار، أما التجهيزات الباقية تم تقدير قيمتها بـ 6694209 دولار، فقد تم تفكيكها واسترجعت من طرف مختلف مصالح جيش الولايات المتحدة الأمريكية[22].

خاتمة:

كان للوجود العسكري الأمريكي بالغ الأثر على الجزائر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ويمكن توضيح ذلك في أن إنزال القوات الأمريكية على الأراضي الجزائرية بمثابة إشارة واضحة على التحولات الطارئة آنذاك في موازين القوى، وكان لدخول الولايات المتحدة الأمريكية للجزائر دور هام في تطور الوضع، حيث لعبت القواعد العسكرية وما تقوم به من أنشطة استعراضية للقوة العسكرية من زعزعت السلطات الفرنسية بالجزائر، خصوصا بعدما ثبت بالملموس ضعف القوة الفرنسية في مواجهة التوسع النازي سنة 1940، وبذلك ترك الأمريكيون تاريخا لهم في الجزائر خلال فترة تقارب الثلاث سنوات من التواجد الذي كان فاعلا في تأثيره على نفسية الجزائري الذي كان يعاني من الفقر والحرمان الذي كرسه الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله الجزائر.

الهوامش:

[1]بلغ عدد الجيش الأمريكي في 27 نوفمبر 1942 حسب الأستاذ مصطفى عزو 65000 جندي تركزت أساسا في الدار البيضاء ومراكش وأكادير، للمزيد من التفصيل أنظر:

Azzou Mostapha: La présence militaire américaine ou Maroc ,1945-1963, Guerres mondiales et conflits contemporaine, 2003.

[2]Lahlou Abde Lmalek: Casablanca à l'heure de l'opération torch et de conférence d'Anfa 1907 -1956, récit, Casablanca, najah El jadida, 1993, p.

[3] Benjamin Stora: Algérie: histoire contemporaine (1830 – 1988), Casbah, Alger, 2004, p.192.

[4] André Nouschi: La naissance dunationalisme Algérien, édition Minuit, Paris 1962, p.161.

[5]حميد الزواق: حيثيات الإنزال الأمريكي بالمغرب 8 نونبر1942 م وأهم نتائجه، أنفاس نت، 13 مارس 2015.

[6] عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في مرحلة الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899- 1985، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة 2005، ص.158.

[7] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، المؤسسة الوطنية للنشر وبالتوزيع ط 3، الجزائر، 1983، ص.189.

[8]Alfred Salinas: Les Américaines en Algérie 1942 – 1945, Casbah, Alger, 2004, p.364.

[9]Ibid, p.368

[10]Ibid, p.370.

[11] Ibid, p. 379.

[12] وهران ثاني أكبر مدينة جزائرية، تقع في الغرب الجزائري، وهي أكبر مدينة في هذه الجهة، تعرضت لفترة طويلة خلال العصر الحديث إلى السيطرة الاسبانية.

[13]Alfred Salinas: Les Américaines en Algérie 1942 – 1945, p.403.

[14]Ibid, p.404

[15]Ibid, p.406.

[16] حوار مسجل مع السعيد لعبيدي، يوم 17 نوفمبر 2017.

[17] حوار مسجل مع يوسف كبور، يوم 09 سبتمبر 2017.

[18] حوار مسجل مع السعيد لعبيدي، يوم 17 نوفمبر 2017.

[19] حوار مسجل مع يوسف كبور، يوم 09 سبتمبر 2017.
[20] حوار مسجل مع السعيد لعبيدي، يوم 17 نوفمبر 2017.
[21] حوار مسجل مع عباس شريطي، يوم 12 أكتوبر 2017.
[22]Alfred Salinas: Les Américaines en Algérie 1942 – 1945 , p.380.